

ويحرقون مزارعها ويستاقون ماشيتها.

الى الجنوب من كردستان لم تلق دعوة سمكو للثورة إستجابة. وحول ذلك يذكر كاوان Cowan القنصل البريطاني في كرمنشاه في تقرير الى المندوب السامي مؤرخ في ٢٥ من أيلول ١٩٢١:

"بولغ كثيراً في الثورة (التي أعلنها سمكو). وموقف أغلبية سكان جنوب كردستان، إنهم لا يترددون في مساندة حركة وطنية مدعمة من قبل الانكليز. ولن يتحركوا إلا إذا دُفع لهم^(١٨)."

إنشغل (رضا پهلوي) في أول عهده بإطفاء تمردات وإضطرابات أخرى. كما أن الحملات الضعيفة التي كان يجردها ضد سمكو - تُمنى بالفشل وغفل عنه حيناً من الزمن مركزاً إهتمامه بمعالجة أمر شبكة سرية سياسية واسعة يرعاها السوفييت عرفت بإسم (ملايون = الملالي ج: ملا) شمل نشاطها كردستان وإنداحت حتى كرمنشاه. كما كانت هناك دلائل تشير الى دعاية بلشفية فاعلة بين الملالي في أنحاء خانقين. في ذلك الحين كانت الحركة الكمالية تساند (سمكو)^(١٩).

ثم وبعد فشل متلاحق تمكّن رضا خان من حشد قوة تناهز ثمانية آلاف جندي مسلحة برشاشات ومدفعية. وفي التاسع من آب نشبت معركة كبيرة شمال سلماس دارت الدائرة فيها على سمكو. وأصيب بانحار تام وتفرّق عنه أتباعه وإنسحبت العشرات الموالية له وتسلمت بهدوء عائدة الى مواطنها وتركته وليس معه إلا قبضة من الرجال. وإستولت قوات رضا خان على قاعدته ديلمان ثم على قلعته شاهرخ في ١٤ من آب.

١٨- من القنصل البريطاني في كرمنشاه الى المندوب السامي. 6347 - 371.

١٩- كان سمكو في تشرين الأول ١٩٢١ قد انتقل الى صاويلاغ عاصمة موكري القديمة وقيل انه شرع يصدر جريدة بمثابة الصوت المعبر عن الأمانى الكردية في التحرر. لكنه مالبت أن غادرها بسبب الضغط العسكري. يذكر المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي في موسوعته التاريخية الكبرى العالم الإسلامي منذ تسوية السلم The Islamic World Since the Peace Settlement ج١ - ص٥٣٩ وما بعدها: إن الحكومة السوفيتية سعت لدى الحكومة الإيرانية لإصدار العفو عن سمكو. موصيةً بمنح الكرد لديها لوناً من الحكم الذاتي وكان السوفييت حينذاك على أطيح العلاقات مع إيران بعد عقدهم في شباط ١٩٢١ المعاهدة الشهيرة. ويذكر (توينبي) دون إسناد بالمصدر أن الفرس حاولوا في ١٩٢٢ التفاهم مع سمكو، لكنه لم ينتظر وأعلن الثورة ضد إيران.

وفي السادس عشر منه أعيد احتلال أورميه ثم مهاباد (صاوبلاغ). فهرب الى المنطقة الكردية في العراق.

كانت هزيمته كاملة عندما ظهر في (ديره) القرية من أربيل في نهاية تشرين الأول وليس معه غير عشرة من الأتباع^(٢٠). مامن شك في أن سمكو جاء مطالباً بالمساندة البريطانية لقاء خدمات قام بها لهم قبل ثلاثة أشهر بمناسبة الثورة التي أشعلها (كريمي فتاح آغا) في تموز ١٩٢٢ في السليمانيه. فقد نجح في حمل القبائل الكردية الإيرانية بالإمتناع عن مساندة (كريمي فتاح) وبهذه الوسيلة خفف الضغط عن بابكر آغا الپشدري زعيم قبائل پشدر الموالي للبريطانيين الذي كان قد أرغم على الهروب الى إيران في حينه.

والذي يبدو أن ميجر نوئيل حاول أن يعيد لسمكو بعض إعتبار بسعيه في الجمع بينه وبين الشيخ محمود والسيد طه فلم يحالفه نجاح. وكان غرض الضابط البريطاني إقامة تحالف ضد المخطط التركي لجنوب كردستان لكنه اصطدم بمزاج سمكو المتقلب وبحقن الشيخ محمود عليه بسبب موقفه الغادر من ثورته في العام ١٩١٩. فلم يجد سمكو عطفاً عنده رغم الإستقبال الحافل الذي جرى له في السليمانيه^(٢١) وغادر السليمانيه

٢٠- كرد وترك وعرب، من ترجمتنا. الطبعة الثانية. أربيل ١٩٩٩، الص ٢٧٥-٢٧٦: «وفي نهاية شهر تشرين الأول انحرف مجرى الأحداث إنحرافاً روائياً جديداً بوصول اسماعيل آغا (سمكو) زعيم قبيلة شكاك المرهوب الجانب الى الحدود الإيرانية التركية في إقليم قوتور. ثم قدومه فجأة ويلا سابق إنذار الى (ديره) القرية التي تبعد عن شمال أربيل بثمانية عشر ميلاً. فيعد أن إنتزع كل مناطق الحدود من إيران ابتداءً من دلمان حتى بانه في ثورة حاول إكساءها طابعاً وطنياً كردياً. إنهار فجأة ازاء عملية عسكرية مزدوجة شاركت فيها قوات تركية من الغرب والجيش الإيراني الذي جددت شبابه إصلاحات رضا خان - من الشرق فخر مدافعه ورشاشاته وقطار بغال محملاً بالعتاد. كما فقد ضحايا كثيرة منها زوجته. وأسر صبي له في السادسة كان قرّة عينه فجاء الى العراق يطلب العون وذهل وتألم من رفضنا السماح له بالمجيء الى أربيل...»

٢١- في الثامن من شباط ١٩٢٣ حلّ سمكو بالسليمانيه. والشيخ محمود صاحب الأمر فيها. واستقبل بعرض عسكري وبإطلاق سبع قذائف مدفعية تشريفاً. وأعلن يوم وصوله عطلة رسمية وجرى له عرض عسكري ووصفته جريدة (روژي كردستان) بـ"بطل كردستان المغوار صاحب السعادة آغا سمكو". إلا أن الجفاء الذي استقبله به الشيخ محمود آل بالجريدة الى أن لاتذكر مغادرته بحرف.

بهدوء وبغير ما أستقبل به ولم تنوه جريدة (کردستان) حتى بمغادرته^(٢٢).
أكان اسماعيل آغا شكاك قومياً. يعمل لإستقلال كردستان حقاً؟

٢٢- ماجرى لهذه الشخصية العجيبة بعد هذا يخرج عن مواضيع هذا الكتاب لاسيما وأن حياته التالية لم تعد لها علاقة بالقضية الكردية. لكن أجد من حق القاريء أن يتابع دراما (سمكو) حتى الأخير بخاتمتها المأساوية.

لم يجد ترحيباً من البريطانيين وإنكفاً الى كردستان التركيّة ومن هناك قدم إسترحاماً للسلطات الإيرانية معرباً عن ندمه على ما فرط وواعداً بأن يكون عوناً وسنداً لحكومة رضا خان. فصدر عفو عامٌ عنه غير مشروط وعاد الى كردستان. ولكنه لم يخلد قطّ للسكينة وواصل نشاطه ضدّ السلطة حتى إستقطب في العام ١٩٢٦ بالإعلان عن ثورة جديدة. هي ثورته العاشرة (إذا إتفق رأينا وإدموندز: المرجع السالف ص٢٢٨ بأن ثورة العام ١٩٢٢ كانت التاسعة). إلا أن القوات الإيرانية ألحقت به هزيمة شنعاء بالقرب من (ديلمان) وأفلت هو مع مائة من أتباعه وعبر الحدود العراقية وطلب حق اللجوء، فمُنح، ولم تلبّ الحكومة العراقية طلب الإيرانيين بتسليمه بإعتبارها إياه متهماً بجرم سياسي الطابع. إلا أنها وافقت على إستقبال موظف إيراني ليقوم بمقابلة سمكو وإقناعه بتسليم نفسه. [تقرير عن الإدارة في العراق السنة ١٩٢٦. ص٢٦] ولم يصدر على سمكو حكم في إيران. وبقي مقيماً في رواندوز في حمى صديقه القديم سيد طه الذي كان قائمقاماً للقضاء وقتذاك. [راجع التقرير الذي رفعته سلطات الإنتداب الى مجلس عصابة الأمم حول الإدارة في العراق للعام ١٩٢٧. يصف سمكو بانه: "عنصر خطر على الأمن والنظام للجانبين من الحدود": ص٦٢].

في أيار ١٩٢٨ غادر سمكو العراق بمحض إختياره. وبعد سنة واحدة وبضعة أشهر عاد يظهر في العراق مجدداً (١٩٢٩) وسكن موضعاً قريباً من الحدود الإيرانية مع خمسين من الأتباع وعندما أبلغ بأن استمرار بقائه في العراق سيكون مشروطاً ببقائه في المحل الذي تعينه له الحكومة العراقية انسحب الى تركيا وبقي حتى نهاية السنة في منطقة الجبال غرب روبري حاجي بگ. وشارفت حياة سمكو على النهاية عندما وصلته من تبريز دعوة رسمية تعرض عليه عفواً عاماً مع حاكمية (اشنويه). والمرء يعجب حقاً كيف وثق هذا الشائر بالوعد من خصمٍ لا يتوقع أي عاقل ان يجد عنده رحمة. قصد سمكو أشنويه وسلم مقاليد المنصب رسمياً. وزاوله لمدة ثلاثة أيام قضاها في إستقبال مهنثيه من القبائل الكردية المجاورة. في اليوم الرابع وصلته رسالة تنبئه بأن موظفاً إيرانياً كبيراً قادم لزيارته. فأخذ معه نفراً من رؤساء العشائر وخرج لإستقباله. وبعد إنتظار طويل في الموضع المتفق عليه للقاء أقبل ساعٍ على ظهر جوادٍ لينبئه بأن الموظف الزائر تعطلت السيارة به وتعذر عليه الحضور. فقفل سمكو عائداً الى اشنويه ولدى إقتراجه من منزله فوجيء بزخات من الرصاص منطلقة من جنود الجيش الإيراني الذين كانوا قد كمنوا له ووزعوا على سطوح المنازل المجاورة. فقتل مع إثني عشر من رؤساء عشيرته وعدد من أتباعه. ويذكر هاملتون [أنظر ترجمتنا لكتابه طريق في كردستان، الص ١٢٧-١٢٨- ط٢ أرييل ١٩٩٩. انه أنذر =

في فترة قصيرة معينة تحدّث عن الإستقلال، ونجح تحت هذا الشعار في توحيد بعض القبائل حوله. ولفترة قصيرة أيضاً تحالف مع سيد طه، ولفترة قصيرة أيضاً جعل دعوته بسبب من ذلك تعبر حدود فارس وتتراوح بعبورها الحدود الدولية جيئة وذهاباً. ويتقلّب ولائاه السريع وجد من الصعب عليه أن يعترف لأحدٍ غيره بالزعامة القوميّة. لا بالسيد طه ولا بالشيخ محمود وإنما اعتبرهما خصمين كبيرين منافسين له.

وفي خلال الأيام القليلة التي خصصها من حياته للقضية الكردية. لم ينشر بياناً ولم يصدر منهاجاً يدوران حول تصوراتهِ للنضال أو مفاهيمه للقومية وأهدافه للوصول الى الإستقلال ومع أنه أصدر في صاوبلاغ جريدة [روزي كردستان = شمس كردستان] لمدة شهر واحد، فإنك لا تجد في الأعداد الخمسة أو الستة التي صدرت منها خطأً قومياً واضحاً. ويبدو انه لم يهتمّ قط حتى بإقامة ادارة كردية في المناطق التي كان يحتلها أو التي وقعت ضمن دائرة نفوذه ولم ينشيء نظاماً ضرائبياً أو يباشر مشروعاً واحداً لخدمات إجتماعية، وقصارى ما كان يفعله عند بسط سيطرته على مدينة أو إقليم تعيين حاكم قبائلي وهو إجراء لا يختلف في الجوهر عما كان يفعله الإيرانيون دوماً.

ولم يجد سمكو ضرورة أو ربما وقتاً لمحاولة إنشاء علاقة بمراكز الفكر القومي في استنبول والقاهرة بل في السليمانية كما بقي سراً لدى من كتب عنه أو ارتبط بعلاقة به مبلغٌ تحصيله التعليمي ونصيبه من الثقافة العامّة التي قد تكون عاملاً قوياً في مدى تفهمه ووعيه للأحداث التي تمرّ به لتنعكس على قراراته.

وخير لنا أن نقف هنا لنترك للقاريء تقدير درجة نضج هذه الشخصية وأهليتها لمكانة ما في تاريخ النضال القومي الكردي.

= مسبقاً بعملية غدر مبيتة فلم يصدّق].

كان مقتله في ١٩٣٠. ذكر الكولونيل (لاين) أن (خورشيد آغا هركي) وهو زعيم قبائل الهركي كان من بين الذين قُتلوا معه (كرد وعرب وبريطانيون Kurds Arabs and Britons مذكرات عن العراق ١٩١٨-١٩٤٤. ط لندن ٢٠٠٢. ص ١١٢).